

ما هو الإرهاب ؟

الإرهاب والرغبة والرُّهْب معناها : المخافةُ مع التحرز والاضطراب ، وقد وردت الكلمة في القرآن الكريم باستعمالات عدة : ترهبون ، رغباً ورهباً ، والرهبان ، والرغبة ، وكلها تدور حول هذا المعنى ، بما في ذلك كلمة : الرهبان ، والراهب ، وهو الذي زرعت في قلبه مخافة الله والإشفاق منه . ومن أمثلة الكلمة في القرآن الكريم :

قوله تعالى : ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾ . [الحشر : ١٤]

وقوله تعالى : ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ . [الأنفال : ٦٠]

وقوله تعالى : ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ .

[الأعراف : ١١٦]

وقوله تعالى : ﴿وَأَيَّيَ فَارْهَبُونَ﴾ . [البقرة : ٤٠]

وفي حديث دعاء النوم عنه ﷺ : « اللهم إني أسلمت نفسي إليك ، ووجهت وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك ، وألجأت ظهري إليك ، رغبة ورهبة إليك .. » [أخرجه البخاري ومسلم]

أي طمعاً في عطائك ، وخوفاً وفزعاً من عقابك .

فالمسمى صحيح في إطلاقه على أعمال العنف التي تحدث الخوف في القلوب ، والرغبة في النفوس ، والتحرز من الهجمات ، والاضطراب في الأمن وفي التصرفات ، وفي ردود الفعل ، وفي حياة الناس عموماً ، ولكن الذي لا يصح فيه هو أن يؤخذ ستاراً للحرب على الإسلام ، والوقوف في وجه الدعوة ،

والمؤامرات على المسلمين ، بل إن الحقيقة التي لا مرأى فيها أن الإرهاب صناعة غربية ، وملة أوروبية ، ومهنة صليبية ، وهندسة صهيونية ، وما يحدث من إرهاب فأغلبه شيء من بضاعتهم يرد إليهم .

ومن تعريفات الإرهاب أنه : ترويع الآمنين ، وتدمير مصالحهم ومقومات حياتهم ، والاعتداء على أموالهم وأعراضهم وحررياتهم وكراماتهم الإنسانية بغياً وإفساداً في الأرض .

وإن الرّهب والرعب والفرع والخوف سمات ملازمة لكل من حاد عن منهج الله ، وأشرك به غيره ، وتعدى حدوده ، أو كفر برسوله ، أو جار وظلم ، مهما أوتي من وسائل حفظ الأمن ، ومن مظاهر القوة ، ومن دلائل الحضارة ؛ لأن الأمن والطمأنينة الحقة صفات هائلة ناعمة لا يتذوق حلاوتها ويجد بردها إلا من رضي بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ نبياً ، حينها يكون في غاية الأمن والطمأنينة النفسية ، هادئ البال ، ناعم العيش ، واثق الخطوات ، فإذا ما جمع إلى ذلك أسباب حفظ الأمن ، فقد رغد عيشه ، وعذبت مسيرته ، يقول تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ . [الأنعام : ٨٢]

ويقول تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ . [البقرة : ٢٧٧]

وقد بين جل وعلا أن الخوف والرعب أمور تظل تلقي بظلالها في قلوب الكافرين، يقول تعالى : ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴾ [آل عمران : ١٥١] ، والرعب هو الامتلاء خوفاً وفزعاً ، وهو من جنود الله تعالى لعباده المؤمنين ضد أعدائه الكافرين ، يقول ﷺ : « نصرت بالرعب مسيرة شهر » .

[أخرجه البخاري ومسلم]

ومما تجدر الإشارة إليه أن هنالك أسساً هامة ، وركائز عظيمة ، إذا وجدت في حياة الأمم فإنها تقوى ، وتعز ، وتزدهر ، حتى ولو كانت كافرة ، وأهم تلك الأسس ، بل هو عمادها : العدل ، فإنه خلق كريم عظيم يسهم في الحياة الهادئة في الدنيا لأي أمة ، فإذا كانت أمة مسلمة فازت بخيري الدنيا والآخرة ؛ ولذلك فنحن نرى اليوم دولاً تتقدم وتزدهر ، وتشكرها البشرية جمعاء حينما تقيم صروح العدل والديموقراطية ، وتحترم حقوق الإنسان .. أما الظلم فهو الذي يقوض الدول ، ويهدم القوى ، ويستمطر الغضب ، وإن الله يجيب دعوة المظلوم حتى ولو كان كافراً .

وإنني أستخدم كلمة الإرهاب هنا وأنا أقصد بها إرهاب المؤمنين ، وتخويف الآمنين ، وهتك حرمة المعاهدين ، واستهداف الأبرياء ، وتشويه سمعة الدين ، والتهور الذي يورث الحن ، ويسبب الفتن .. أقصد بها كل أعمال العنف التي ترتكب باسم الإسلام ، وتجرح المسلمين إلى كهوف مظلمة ،

ومتاهات معتمة ، وتستعدي عليهم العالم ، وتجلب لهم العنت .

أقصد بها كل أعمال الاعتداء والظلم على الناس التي يحرمها الدين ، أما إرهاب الآخرين لنا ، وخصوصاً الإرهاب الدولي المنظم والموجه ضد المسلمين في كل مكان ، فليس هنا مجال بحثه ، ولا الحديث عن حصاده ، ولا بيان مآسيه .. إن الإرهاب على المسلمين يتطلب الحديث عنه مجلدات كثيرة ، إنه كبير كبر عداوة الأعداء ، طويلٌ طول تاريخ كراهية الحق ، وإن المسلمين في هذا الزمن تجرعوا غصص الإرهاب من جهات عدة ، الإرهاب الشيوعي ، والإرهاب الهندوسي ، والإرهاب الديكتاتوري ، ولكن أشدها خطراً ، وأمضها ألماً ، وأعظمها فتكاً : الإرهاب الصليبي الصهيوني ، إنه إرهاب تكاد تنشق له الأرض وتخر الجبال هدداً ، إنه وصمات عار في تاريخ البشرية ، تأباه النفوس القويمة ، وتمجه الأديان ، وتنكره العقول .. إنه جبال من الأشلاء الممزقة ، وبحار من الدماء المسفوكة ، وأنهار من الدموع الحارقة ، وآلاف من السجلات المؤلمة ، أمراض ، أوبئة ، تجويع ، فقر ، حرمان ، كبت ، تعسف ، ظلم ، اعتداء ، كيد ، إهانة ، إحتقار ، وكل ما تحويه المعاجم من أمثال .. هذه الكلمات قد تجرع المسلمون من غصتها من أعداء الحق ، وخصوم الإنسانية ، وسدنة الظلم ، وصانعي الإرهاب ، لا لذنوب جنوه ، ولا خطأ ارتكبوه إلا أنهم قالوا : ربنا الله ، وأنهم أسعدوا البشرية بعلمهم وحلمهم ، وحضارتهم أكثر من ألف عام .

ألف عام والدهر مُصنَّغٌ إلينا
ومبناه بنا ومرخي العنان
ألف عام تفيأ الكون فيها
ظل عدلٍ وأمنيات حسان
ألف عام من عزّةٍ وفتوح
هي سر الحياة للبلدان
ألف عام ونحن قصة مجد
ورقيّ في كل علم وشان
طرب الكون للعلی والتسامي
والتواصي بالفضل والإحسان

إن مذبحه واحدة فقط للمسلمين في البوسنة على أيدي
الصرب الحاقدين المجرمين كان ضحيتها خمسة آلاف مسلم ما
بين شيخ مسن ، وعجوز مقعدة ، وأرملة منقطعة ، وطفل
بريء ، فلم يغضب لهم أحد ، ولم ينتقم لهم أحد ، أضف إليها
المذابح الشيوعية للمسلمين في روسيا وفي أفغانستان
والشيشان ، أضف إليها المذابح الأمريكية المخزية التي رآها العالم
كله في أفغانستان والعراق ، أضف إليها مذابح اليهود المذهلة
للمسلمين ، أضف إليها المذابح والمهالك والمؤامرات في شتى
أنحاء العالم ، والتي كثير منها برعاية المتبجحين بالسلام .

ولو تفرغ عدد من الكتاب والعلماء والخبراء للحديث عن
حصاد الإرهاب على المسلمين وبيان آثاره وتاريخه وثماره ،
لرأينا من ذلك ما يشبه الخيال ، مما يعتبر السبب الأكبر لردات

الفعل ، ومحاولات الانتقام ، وهجمات الإرهاب التي لا تتجاوز القطرات بالنسبة للبحر الخضم .. ومع ذلك فالإرهاب في الإسلام مرفوض ، والاعتداء محرم ، والظلم ممنوع ؛ لأن ذلك كله فساد في الأرض والله لا يحب الفساد .

إن تلك النفوس التي تتبجح بالعدل ، وتتغنى بالسلام ، ما هي إلا أقوال تناقضها الأفعال ، وشعارات تفضحها الممارسات ، إنها النفوس التي لن تجد أبدع ولا أصدق من وصف القرآن الكريم لها : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴾ . [البقرة : ٢٠٥]

ولك أن تتخيل لو أن كرامة المسلمين محفوظة ، وحقوقهم مصانة ، وبلدانهم محررة ، ومقدساتهم آمنة ، يعاملون بالعدل ، ويُقابلون بالإحسان ، ويواجهون بالاحترام ، لا يُنال من دينهم ، ولا يُتدخل في حرياتهم ، هل كانوا يحملون الكراهية ، أو يضمرون العدا ، أو يتعمدون الإساءة ؟ إنهم الآن يعتبرون في قمة الصبر والتحمل والمثالية وضبط النفوس ، رغم كل ما يحل بهم ، وما يلحق بشعوبهم ، انظر إلى مثالياتهم في مواقفهم وتعاملهم مع الدول والشعوب التي لم تؤذهم ، ولم تظلمهم ، ولم تعتد عليهم من غير المسلمين ، إنهم يجدون من المسلمين المعاملة بالمثل ، بل الأفضل والأجمل ، وكما تدين تدان ، ومثلما تزرع تحصد .

بل إن كراهية المسلمين وسخطهم ليس لرعايا هذه الدول

الظالمة ، إنه عداوة وكره للسياسة الجائرة ، وللحكومات المتطرفة ، وإلا فإن الشعوب الغربية فيها نسبة كبيرة منصفة محبة للعدل ، متعاطفة مع الحق ، بل في داخل إسرائيل من هو ناقم على سياساتها ، متمرد على أحكامها ، منكر لظلمها .

إن علاقة المسلمين بالشعوب الغربية علاقة احترام متبادل ، وتفاهم مشترك ، ومعاملة بالحسنى ، وإننا كمسلمين نقدر كل التعاطف الصادق ، والمواقف العادلة التي تتبناها كثير من الشعوب ، حيث تقف في وجه سياسة بلدانها الجائرة ، وتعلن الرفض ، وتقيم المظاهرات ، وتطالب بالعدل ورفع الظلم عن المقهورين من المسلمين وغيرهم ، أولئك ليس في قلوب المسلمين لهم حقد ، ولا يضمرون لهم العدا ، بل يشكرون لهم صنيعهم ، ويحترمون فيهم إنسانيتهم ، بل ونأسف غاية الأسف ، ونتألم ونحزن لما قد يرتكب ضدهم من أعمال إرهابية ، وتصرفات عدائية ، وإن هذه الأخلاق الراقية ، والمثل السامية في تعاملنا مع الآخرين ليست شيئاً جديداً ، ولا آداباً عصرية تملئها ظروف المرحلة ، بل هي أخلاق أمرنا بها الله ، وضرب المثل الأعلى فيها فيها رسوله ﷺ ، ومضى عليها المسلمون على مرّ العصور ، فإن شعوباً ودولاً كثيرة إنما دخلت في الإسلام بحسن تعامل المسلمين .

يقول تعالى : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ . [المتحنة : ٨]

إن هذا الدين لم يأمرنا فقط بحفظ حقوق النفس الإنسانية
وعدم التعدي عليها ، بل أمرنا بحفظ حياة القطط والبهائم
والحيوانات ، ورتب أشد العقاب على تعذيبها وإيذائها أو
تحميلها ما لا تطيق .